والإخبار عنهم برجال زيادة في الثناء لأن الرجل مشتق من الرجل وهي قوة اعتماد الإنسان كما اشتق الأبد من اليد فإن كانت هذه الآية نزلت مع بقية آي السورة بعد غزوة الخندق فهي تذكير بما حصل من المؤمنين من قبل وإن كانت نزلت يوم أحد فموضعها في هذه السورة إنما هو بتوقيف من النبي صلى ا عليه وسلم فهو تنبيه على المعنى الذي ذكرناه على تقدير : أنها نزلت مع سورة الأحزاب . وأيا ما كان وقت نزول الآية فإن المراد منها : رجال من المؤمنين ثبتوا في وجه العدو يوم أحد وهم : عثمان بن عفان وأنس بن النضر وطلحة بن عبيد ا وحمزة وسعيد ابن زيد ومصعب بن عمير . فأما أنس بن النضر وحمزة ومصعب بن عمير فقد استشهدوا يوم أحد وأما طلحة فقد قطعت يده يومئذ وهو يدافع عن رسول ا صلى ا عليه وسلم وأما بقيتهم فقد قاتلوا ونجوا . وسياق الآية وموقعها يقتضيان أنها نزلت بعد وقعة الخندق . وذكر القرطبي رواية البيهقي عن أبي هريرة " أن رسول ا حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف ودعا له ثم تلا ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا ا عليه فمنهم من قضى نحبه ) الآية .

ومعنى ( صدقوا ما عاهدوا ا عليه ) أنهم حققوا ما عاهدوا عليه فإن العهد وعد وهو إخبار بأنه يفعل شيئا في المستقبل فإذا فعله فقد صدق . وفعل الصدق يستعمل قاصرا وهو الأكثر ويستعمل متعديا إلى المخبر " بفتح الباء " يقال : صدقه الخبر أي قال له في الصدق ولذلك فإن تعديته هنا إلى ( ما عاهدوا ا عليه ) إنما هو على نزع الخافض أي صدقوا فيما عاهدوا ا عليه كقولهم في المثل : صدقني سن بكره أي في سن بكره .

والنحب : النذر وما يلتزمه الإنسان من عهد ونحوه أي من المؤمنين من وفى بما عاهد عليه من الجهاد كقول أنس بن النضر حين لم يشهد بدرا مع رسول ا صلى ا عليه وسلم فكبر ذلك عليه وقال : أول مشهد شهده رسول ا غبت عنه أما وا لئن أراني ا مشهدا مع رسول ا صلى ا عليه وسلم فيما بعد ليرين ا ما أصنع فشهد أحدا وقاتل حتى قتل . ومثل الذين شهدوا أيام الخندق فإنهم قضوا نحبهم يوم قريظة .

وقد حمل بعض المفسرين ( قضى نحبه ) في هذه الآية على معنى الموت في الجهاد على طريقة الاستعارة بتشبيه الموت بالنذر في لزوم الوقوع وربما ارتقى ببعض المفسرين ذلك إلى جعل النحب من أسماء الموت ويمنع منه ما ورد في حديث الترمذي أن النبي صلى ا عليه وسلم قال في طلحة بن عبيد ا ( إنه ممن قضى نحبه ) وهو لم يمت في حياة رسول ا صلى ا عليه وسلم .

وأما قوله ( وما بدلوا تبديلا ) فهو في معنى ( صدقوا ما عاهدوا ا عليه ) وإنما ذكر هنا للتعريض بالمنافقين الذين عاهدوا ا لا يولون الأدبار ثم ولوا يوم الخندق فرجعوا إلى بيوتهم في المدينة .

وانتصب ( تبديلا ) على أنه مفعول مطلق مؤكد ل ( بدلوا ) المنفي . ولعل هذا التوكيد مسوق مساق التعريض بالمنافقين الذين بدلوا عهد الإيمان لما ظنوا أن الغلبة تكون للمشركين .

( ليجزي ا الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن ا كان غفورا رحيما [ 24 ] ) لام التعليل يتنازعه من التعلق كل من ( صدقوا ) ( وما بدلوا ) أي صدق المؤمنون عهدهم وبدله المنافقون ليجزي ا الصادقين ويعذب المنافقين .

ولام التعليل بالنسبة إلى فعل ( ليجزي ا الصادقين ) مستعمل في حقيقة معناه وبالنسبة إلى فعل ( ويعذب ) مستعار لمعنى فاء العاقبة تشبيها لعاقبة فعلهم بالعلة الباعثة على ما اجترحوه من التبديل والخيس بالعهد تشبيها يفيد عنايتهم بما فعلوه من التبديل حتى كأنهم ساعون إلى طلب ما حق عليهم من العذاب على فعلهم أو تشبيها إياهم في عنادهم وكيدهم بالعالم بالجزاء الساعي إليه وإن كان فيه هلاكه .

والجزاء : الثواب لأن أكثر ما يستعمل فعل جزى أن يكون في الخير ولأن ذكر سبب الجزاء وهو ( بصدقهم ) يدل على أنه جزاء إحسان وقد جاء الجزاء في ضد ذلك في قوله تعالى ( اليوم تجزون عذاب الهون ) في سورة الأنعام .

وإظهار اسم الجلالة في مقام إضماره للدلالة على عظمة الجزاء .

A E